الفصل الرابع
الرسم العثماني والقراءات

ارتبطت القراءات القرآنية في أذهان كثير من الناس بالرسم القرآني منذ أن أقدم الخليفة عثمان على كتابة القرآن الكريم في مصاحف ـ بعد إجماع الصحابة ـ سميت باسمه، وأبطل ما عداها من مصاحف الصحابة والتابعين. وقد تميزت تلك المصاحف العثمانية الموجهة إلى الأمصار الإسلامية برسم خاصّ جعل بعض المستشرقين وعلى رأسهم بعض الدارسين يميلون إلى القول بأن له علاقة مباشرة بتعدد القراءات، فما هي حقيقة هذا الرسم ؟ وما حقيقة علاقته بالقراءات؟

أولا : العرب والكتابة

١ ـ معرفة العرب للكتابة

أ ـ قبل الإسلام : الثابت أن العرب كانت تعرف الكتابة قبل مجيء الإسلام[١] بدليل وجود إشارات واضحة إلى أنه كان حينذاك كُتّاب، أي في العصر الجاهلي؛ من ذلك أن بعض المصادر تذكر أن عمر بن زُرارة كان يُوصفُ بالكاتب المعلم، وكذلك غيلان بن سلمة بن مُعَتّب[٢]. وفي القرآن الكريم ما يؤكد ذلك، منه قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾ [الفرقان: ٥] أي : كتبها الرسول ﷺ لنفسه عن المتقدمين عليه زمانا[٣].

ويرجح بعض الدارسين أن العرب عرفوا الكتابة قبل ما لا يقل عن ثلاثة قرون قبل الإسلام[٤].

---

(١) انظر:الخط العربي وتاريخه، الدكتور : محمد مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٩٤، ص ٢٩ .

(٢) انظر: مصادر الشعر الجاهلي، الدكتور : ناصر الدين الأسد، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٦٦، ص٥٠، والخط العربي وتاريخه، ص ٣٠ .

(٣) انظر:الكشاف جـ٣ / ٢٦٤ (٤) انظر:مصادر الشعر الجاهلي، ص ٣٣ و٤٦ .

ومما يدل على ثبوت ذلك أيضا ما رواه أبو عمرو الداني بسند أن زياد بن أنعم قال: "قلتُ لعبد الله بن عباس: معاشر قريش، هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي تجمعون فيه ما اجتمع وتفرقون فيه ما افترق هجاءً، بالألف واللام والميم، والشكل والقطع، وما يُكتب به اليوم قبل أن يبعث الله تعالى النبي ﷺ؟ قال: نعم. قلت: فمن علّمكم الكتاب؟ قال: حرب بن أمية..."(١).

ب - **في صدر الإسلام**: وفي صدر الإسلام نعثر على أدلة كثيرة تؤكد معرفة العرب للكتابة حينذاك، وهذه أمثلة من تلك الأدلة:

* ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: "قَيِّدُوا العِلْمَ بالكتاب(٢)".

وأنه قال أيضا: "ما حقّ امرئ له ما يوصي فيه يبيت ثلاثا إلا ووصيته عنده مكتوبة(٣)".

* طلب الرسول ﷺ بعد معركة بدر من الأسرى الذين لم يستطيعوا فداء أنفسهم أن يُعلّمَ كُلٌّ واحد منهم عشرةً من المسلمين القراءة والكتابة(٤).

* اشتهر عن الرسول ﷺ أنه كان يأمر كُتّاب الوحي بكتابة القرآن عند النزول، وقد ذكرنا ذلك في الفصل الثاني.

* اشتهر عن الرسول ﷺ أنه كان يبعث برسائل خطية إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة يدعوهم فيها إلى الإسلام، منها واحدة إلى المقوقس عظيم القبط في مصر، وأخرى إلى المنذر بن ساوي، وثالثة إلى النجاشي في الحبشة(٥).

---

(١) المحكم في نقط المصاحف، ص ٢٦

(٢) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي (أبو العباس أحمد بن على، ت٨٢١ هـ) مطبعة الأميرية، القاهرة، جـ٣/ ٣٦. و كذلك: أصل الخط العربي و تطوره حتى نهاية العصر الأموي، سهيلة ياسين الجبوري، مطبعة الأديب البغدادية، طبعة أولى١٩٧٧، ص٧٧.

(٣) انظر: أصل الخط العربي وتطوره، ص ٧٧ (٤) انظر: المرجع نفسه، ص ٧٧

(٥) راجع هذه الرسائل في: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٣٣، و انظر: صورة لرسالة الرسول ﷺ إلى المنذر ص ٣٠.

* ثبت أنه اشتهر من الصحابة عدد لا بأس به، كانوا يكتبون الوحي للرسول ﷺ منهم : علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وزيد بن ثابت وغيرهم.

* ومن تلك الأدلة على شيوع الكتابة، في صدر الإسلام، مما ورد في القرآن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ [البقرة : ٢٨٢].

٢ ـ أصل الكتابة عند العرب :

إن هذه الكتابة التي كانت شائعة عند العرب والمسلمين قد اختلف في أصلها ؛ فابن النديم يذكر خمس روايات مختلفة في ذلك، منها أن ابن عباس قال : إن أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بَوْلان[١]، سكنوا الأنبار ـ بالعراق ـ هم : مُرَامُر بن مُرَّة، وأسْلَم بن سِدْرَة، وعامِرُ بن جَدَرَة ؛ فأما مُرامر فوضع الصّور، وأما أسلم ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الإعجام.

وقد سئل أهل الحيرة ـ بالعراق ـ : ممن أخذتم الكتاب ؟ فقالوا : من أهل الأنبار[٢]. وهو ما ذكره ابن أبي داود في المصاحف[٣]، وذكره أبو عمرو الداني في المقنع[٤]، ومال إليه حمزة بن الحسن الأصفهاني حيث اعتبر روايته "عارية من المحال يقبلها القلب[٥]."

وأما أحمد بن فارس فيشير إلى قول بعضهم : إن آدم عليه السّلام أول من كتب الكتاب العربي، وقول ابن عباس : إن أول من وضعه إسماعيل عليه السّلام، غير أنه (أي ابن فارس) يرفض القولين، ويعزو أصلها إلى التوقيف، فهي عنده من عند

---

(١) وهي قبيلة من طيئ.
(٢) انظر:الفهرست، ص ٥٧ وما بعدها
(٣) انظر: المصاحف، ص ٩ .
(٤) انظر: المقنع ص ٩ .
(٥) التنبيه على حدوث التصحيف، حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت ٣٦٠هـ). تحقيق :محمد أسعد طلس، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٦٨، ص١٩، وانظر: صبح الأعشى جـ٣ / ٨ .

الله[١]. وقد نقل الحافظ السيوطي ذلك عنه[٢].

أما ابن خلدون فيرى أن أصل الخط العربي مقتبس من الخط الحميري المسند[٣]، انتقل من اليمن إلى الحيرة بالعراق، " ومن الحيرة لَقِنَهُ أهل الطائف وقريش[٤]." وهو رأي لا يبعد كثيرا عما ذكره ابن النديم في رواية ابن عباس السابقة.

ويميل بعض الدارسين المحدثين إلى أن الخط العربي مقتبس من الخط النبطي معتمدين في ذلك على عاملين اثنين :

- **الأول** : أن النقوش العربية في العصر الجاهلي والإسلامي – التي عُثر عليها – خالية من النقط والشكل خلوًّا تامًّا فليس فيها حرف واحد منقوط ولا مشكل، وهي الخاصية الواضحة البارزة في خط الأنباط، إذ أن نقوشهم التي عُثر عليها – والتي ترجع إلى مراحِل مختلفة – تخلو من أية دلالة من دلائل الإعجام[٥].

- **الثاني** : أن الأنباط قريبو الصلة بالعرب، فهم أبناء عمومتهم، وأنهم كانوا قبل الإسلام ينزلون على تخوم المدينة في حوران والبتراء ومعان، وكانوا يجاورون العرب الحجازيين في تبوك ومدائن صالح والعلا في شمال الحجاز[٦]، فعلاقتهم بالعرب متعددة الأسباب : قرابة دم، وقرابة جوار، وقرابة مصلحة.

وهذا الرأي الأخير، إذا ثبت، يجعلنا نقول بأن خلوّ الخط العربي من النقط

---

(١) انظر: الصاحبي لابن فارس،طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٧٧،ص١٢، ١٣ .

(٢) انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مطبعة دار التراث، القاهرة، طبعة ثالثة جـ٢ / ٣٤١ وما بعدها.

(٣) يرى الدكتور :علي عبد الواحد وافي أن " المسند" مشتق من الخط الكنعاني أو الفنيقي الذي اشتقت منه خطوط أخرى كالخط الإغريقي. انظر: فقه اللغة، دار نهضة مصر، الطبعة السابعة، ص٧٨ .

(٤) مقدمة ابن خلدون، تحقيق :د. علي عبد الواحد وافي، جـ ٢ / ٩٦٢ .

(٥) انظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٣٤، و :دراسات في تطور الكتابات الكوفية :إبراهيم جمعة، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦٩، ص١٧، و:أصل الخط العربي وتطوره، ص١٥٥ .

(٦) انظر: دراسات في تطور الكتابات الكوفية، ص ١٧ .

والشكل طبيعة فيه منذ البداية وليست حادثة مع نسخ عثمان رضي الله عنه للمصاحف[1]. إن ذلك ليبدو أمراً مقبولا خاصة مع ثبوت خلوّ تلك النقوش العربية ـ على قلتها ـ من النقط والشّكل[2].

٣ ـ ثبوت نقط الكتابة العربية منذ البدء :

هناك إذاً أدلة ثابتة تشير بوضوح إلى وجود النقط منذ العصر الجاهلي، منها :

أ – ما أشرنا إليه من قبل في النص الذي نقله ابن النديم عن ابن عباس من أن ثالث ثلاثة بولان المشار إليهم، وهو مُرامُر بن جدرة كان قد "وضع الإعجام" أي النقط.

ب – ما رواه القلقشندي من "أن الإعجام في الحروف العربية كان قديما جدّا أي منذ اختراع الكتابة[3]."

وقد أكد بعض الدارسين الآخرين على قدم الإعجام في العربية، واعتبروا أن ما عثر عليه من النقوش الخالية من النقط لا يعدو إلا أن يكون شيئا بسيطا تضمن كلمات قليلة ولا يمكن اتخاذه دليلا على عدم النقط في الجاهلية.

ومما استندوا إليه في القول بثبوت النقط منذ العصر الجاهلي ما عثر عليه من برديات في صدر الإسلام منها واحدة يرجع تاريخها إلى سنة اثنتين وعشرين (٢٢)

---

(١) يرى بعض الدارسين أن العربية لم تعرف النقط والشكل قبل الإسلام، وأن أول من وضع الشكل أبو الأسود الدؤلي (ت٦٩ هـ) بأمر من زياد بن سمية والي البصرة، وأن أول من وضع النقط نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر تلميذا أبي الأسود بأمر من الحجاج بن يوسف في زمن عبد الملك بن مروان انظر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص ١٧٩-١٨٢ .

(٢) يرى الشيخ أبو عبد الله الزنجاني أن الإعجام موضوع قبل الإسلام ولكن تساهلوا في شأنه شيئا حتى تنوسي ولم يبق منه إلا النادر ـ انظر: تاريخ القرآن للزنجاني، ص ٦٧، ويرى غيره أن صحف أبي بكر التي اعتمد عليها عثمان في كتابة المصاحف كانت خالية من النقط، وإنما الذي كان منه فيها هو علامات خاصة باللغات التي كان الصحابة يقرؤون بها فأمر عثمان بإزالتها، انظر: تاريخ القرآن ص ٦٧ بالهامش.

(٣) صبح الأعشى، ج٣ / ١٥١ .

هجرية على عهد الخليفة عمر بن الخطاب مكتوبة بالعربية واليونانية، بعض حروفها منقوط معجم وهي حروف : الخاء والذال والزاي والشين والنون[١].

جـ- ما رُوي من أشعار جاهلية تدل على وجود النقط منذ ذلك العصر، من ذلك :

قول المُرَقّش :

الدَّارُ قَفْرٌ والرُّسُومُ كما *** رَقَّشَ في ظَهْرِ الأديمِ قَلَمُ

وقول طرفة :

كسُطُورِ الرَّقِّ رَقَشَهُ *** بالضُّحَى مُرَقِّشٌ يَشِمُهُ

وحول معنى الرقش قال أبو علي القالي : "رَقَّشْتُ الكتابَ رَقْشًا و رَقَشْتُه، إذا كتبتُه ونقطته[٢]." وقال الأعلم الشنتمري في شرح بيت طرفة السابق : " وقوله: كسطور الرَّقّ : شبّه رسوم الرَّبْع بسطور الكتاب، ومعنى رَقَّشَهُ : زَيَّنَهُ وحسّنه بالنقط[٣]."

د - ماثبت عند علماء المسلمين من أن عثمان رضي الله عنه إنما جرّد المصاحف من النقط والشكل لتحتمل ما تواتر من القراءات عن رسول الله ﷺ؛ قال أبو عمرو الداني: " وإنما أخلى الصدر منهم (أي من الصحابة) المصاحف من ذلك (أي: من النقط) ومن الشكل من حيث أرادوا الدلالة على بقاء السعة في اللغات والفسحة في القراءات التي أذن الله تعالى لعباده الأخذ بها والقراءة بما شاءت [الأمة] منها، فكان الأمر على ذلك إلى أن حدث في الناس ما أوجب نقطها وشكلها[٤]."

---

(١) انظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٠ وانظر: أصل الخط العربي وتطوره، ص ١٥٧ . وممن قال بعدم وجود الإعجام في العربية أيضا :جورج شهلا وشفيق جحاني في كتابهما "قصة الألف باء العربية" فانظره: هناك.

(٢) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٣٩ عن أمالي القالى :٢/٢٤٦، وانظر: أصل الخط العربي وتطوره، ص ١٥٦ .

(٣) مصادر الشعر الجاهلي، ص ٣٩ .

(٤) المحكم في نقط المصاحف، أبو عمرو الداني، تحقيق د.عزة حسن، دار الفكر، دمشق ١٩٩٧، ص٣ .

وقال ابن الجزري : " وإنما أخلوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسْمُوعَيْن المتْلُوَّيْن شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعْنَيَيْن المعقولَيْن المفهوميْن[١] ."

وقال أيضا : " وجُرّدت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله وثبت تلاوته عن النبيّ ﷺ[٢]...".

فأنت لا تستطيع إخلاء الشيء من الشيء إلا إذا كان هذا الثاني موجودا في الأول، مستقرا فيه، كما أنه لا يمكنك أن تجرّده من أيّ شيء إلا إذا كان ذلك متوَفّراً فيه، متميّزاً به، فقد دلّ ذلك على أن الكتابة العربية إنما كانت منقوطة مرقّشة قبل أن تخلى أو تجرد من نقطها وشكلها للعلة التي ذُكرت.

تلك كانت أربعة أدلة سقناها للتدليل على أن النقط كان موجوداً منذ البدء. ولعل طبيعة الخط العربي كانت تقتضي ذلك لتشابه رسم حروف كثيرة منه[٣]، مثل: الباء والتاء والثاء والنون، وهو مالم يكن في الخط النبطي إذ كانت حروفه جميعها متميزة في رسمها عن بعضها البعض مما جعلها بمنأى عن الالتباس، ومن ثم فهو في غير حاجة إلى نقط[٤].

ولكننا ـ مع كل هذا ـ لا ندعي أن العرب كانت تنقط جميع حروف كتابتها التي تنقط على أيامنا هذه، بل نقول : إن الأرجح أنها كانت تلجأ إلى النقط كلما خافت الالتباس، وذلك على طريقة السُّرْيان والعبرانيين الذين كانوا ينقطون بعضا من حروفهم[٥]، يقول القلقشندي "...فالنقط مطلوب عند خوف اللبس، لأنه إنما وضع لذلك، أما مع أمن اللبس فالأولى تركه لئلا يُظلم الخط من غير فائدة[٦]."

---

(١) النشر، جـ١ /٣٣ . (٢) النشر، جـ١ /٧ .

(٣) للحروف العربية ثمان عشرة صورة، انظر: تفصيل ذلك في :صبح الأعشى، جـ٣ /١٩، وانظر أيضا :خطوط المصاحف (مرجع سابق) ص ١٥ .

(٤) انظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص ٣٨ .

(٥) انظر: أصل الخط العربي وتطوره، ص ١٥٥ . (٦) صبح الأعشى، ج٣ /١٥٠ .

و إنا لنجد إشارات واضحة في تراثنا الإسلامي إلى هذا النقط الجزئي، من ذلك ما روي في حديث شريف أن رسول الله ﷺ كان يقول لكتّابه : "إذا اختلفتم في الياء والتاء فاكتبوها بالياء[١]."

كذلك ماورد عن عبيد بن أوس الغسّاني كاتب معاوية بن أبي سفيان من أنه قال : "كتبتُ بين يَدَيْ معاوية كتابا، فقال لي : ياعبيد، أرقش كتابك، فإني كتبتُ بيْن يدي رسول الله ﷺ فقال: يا معاوية، ارقش كتابك، قال عبيد : وما رقشه يا أمير المؤمنين ؟ قال : أعط كل حرف ما ينوبه من النقط.[٢]" ولا شك أن الأولى في رقش كاتب معاوية هو ما تشابه من الحروف إذ هي المعنية بدرجة أولى لخوف التباسها.

ويبدو أن عملية النقط هذه كانت متفاوتة بين الكتاب، تخضع لظروف معيّنة وأمزجة مختلفة، لعل أهمها يرجع إلى مدى وعي الكاتب نفسه بفن الكتابة، كذلك إلى المستوى الثقافي للذي يُبعث إليه بالكتاب، ونتيجة لذلك فإن النقط عندهم كان يتفاوت كثرة وقلة في الحروف.

ثانيا : الرسم العثماني

يعني به الخط الذي كتبت به المصاحف في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، أي الرسم الذي كتب عليه زيد بن ثابت بمعية اللجنة المعينة لكتابة المصاحف العثمانية، ويسمّى الرسم السّلفي أيضا[٣].

إن الرسم العثماني خط متميّز يختلف عن الخط الإملائي الذي نعرفه اليوم، وهو رسم يختلف عما كان قبل ذلك مما كان الصحابة وغيرهم يتبعونه في كتاباتهم، ولكن اختلافه ـ فيما يبدو ـ عما كان قبل ذلك وعمّا كان سائدا آنئذ ليس اختلافا كبيرا يبلغ حدّ اختلافه مع الإملاء الحديث فليس بوسع كتاب المصاحف أن يتخلوا كلّيا عما ألفوه من هجاء لينحوا به نحواً آخر يختلف اختلافا كبيرا[٤].

---

(١) انظر: أصل الخط العربي وتطوره، ص ١٥٦ عن :أسد الغابة لابن الأثير ١/١٩٣ .

(٢) أصل الخط العربي وتطوره، ص ١٥٦ . (٣) انظر: صبح الأعشى جـ٣/١٦٨ .

(٤) يرى الدكتور محمد بكر إسماعيل أن كتاب المصاحف العثمانية إنما كتبوا المصاحف على ما عرفوه من قواعد الخط مما كان شائعا في كتبهم .انظر:دراسات في علوم القرآن،ص ١٣٨ .

أ - خصائص الرسم العثماني :

إنّ تميّز الرسم العثماني عن غيره يكمن في أمرين مهمّيْن :

- **الأمر الأول** : خلوّه من النقط والشكل، وهو أمر طارئ -كما علمت - كان مقصوداً لاختلاف قراءات القرآن، فَجُرِّدَ الرسم من ذلك حتى يسع ما أمكن من تلك القراءات المتواترة والمشهورة؛ قال ابن الجزري : "وجرّدت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ماصح نقله وثبت تلاوته عن النبي ﷺ إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرّد الخط[1]." وقال أيضا : "وجرّدوا المصاحف عن النقط والشكل لتحتمله ما بقي من صورة ما بقي من الأحرف السبعة كالإمالة والتفخيم والإدغام، والهمز والحركات وأضداد ذلك مما هو في باقي الأحرف السبعة غير لغة قريش، وكالغيب والجمع والتثنية، وغير ذلك من أضداده مما تحتمله العرضة الأخيرة.[2]"

ومن أمثلة ذلك أنّ كلمة ﴿تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: ٨٥] جرّدت من النقط لتحتمل قراءة الياء[3]، وتحتمل أيضا قراءة التاء حيث قرئت "تُرجعون[4]" بصيغة البناء للمجهول في الاثنيْن[5].

ومنه أن كلمة " فتبيّنو[6]" جرّدت من النقط لتحتمل قراءة الباء والنون ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء : ٩٤] وتحتمل كذلك قراءة الثاء والباء والتاء (فتثبتوا[7]) وكلّ منها قراءة صحيحة متواترة.

ومنه أيضا أن كلمة ﴿نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] جرّدت منه لتحتمل قراءة

---

(١) النشر جـ١ /٧ .

(٢) منجد المقرئين ص ١١١، وانظر: المحكم في نقط المصاحف، ص ٣ . والنشر جـ١ /٣٣ .

(٣) قرئت :يُرجعون، وهي قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي.

(٤) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وعاصم وابن عامر. (٥) انظر: السبعة في القراءات، ص٥٨٩ .

(٦) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وعاصم.

(٧) وهي قراءة حمزة والكسائي.

الزاي (ننشزها[١]) وقراءة الراء المهملة (ننشرها[٢])، وكلاهما قراءتان متواترتان أيضا، لا سبيل إلى ردّ إحداهما.

ومما جرّد من الشكل ـ والنقط أيضا ـ كلمة ﴿ يَفْصِلُ ﴾ [الممتحنة : ٣] لتحتمل قراءة "يُفْصَلُ" بضم الياء وإسكان الفاء وفتح الصاد مع التخفيف[٣]، بناءً للمجهول، وقراءة "يَفْصِلُ" بفتح الياء وإسكان الفاء وكسر الصاد[٤]، بناءً للمعلوم، وقراءة "يُفَصَّلُ" بضم الياء وفتح الفاء والصاد مع التضعيف[٥]، وقراءة "يُفَصِّلُ" بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مع التضعيف[٦]، وكلها قراءات صحيحة متواترة لا سبيل إلى احتوائها من خلال الصورة الخطية الواحدة إلا بتجريدها من الشكل.

فهذه أمثلة قليلة في تجريد الرسم من النقط والشكل ذكرناها هنا على سبيل التمثيل لا الحصر، فمعظم الخلاف في فرش الحروف المذكور في كتب القراءات السبع يحتمله رسم واحد اقتُصر عليه، وسوف ترد بقية الأمثلة مفصلة في الباب الثاني من هذا البحث إن شاء الله.

والذي لا بد من التنبيه عليه ههنا أن هذه الميزة في الرسم العثماني ـ وهي خلوه من النقط والشكل ـ قد استُغني عنها لاحقا عندما أُعجم المصحف وشُكّل حماية للقرآن من اللحن الذي انتشر على ألسنة الناس في الأمصار الإسلامية، غير أن هذا الاستغناء لم يمنع بقاء ذلك الرسم شائعا تحت نفس الاسم : الرسم العثماني أو الرسم المصحفي.

ـ **الأمر الثاني** : زيادة بعض الحروف، وحذف بعضها، وتغيير بعضها الآخر على غير قياس وخلافا للمنطق، إذ كان الأصل أن يكون كل مكتوب موافقا تمامًا للمنطوق به زيادة ونقصا وتغييراً، بيد أن هذا الأصل قد خولف في رسم المصحف العثماني[٧].

---

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو. (٢) وهي قراءة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي.
(٣) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو. (٤) وهي قراءة عاصم.
(٥) وهي قراءة ابن عامر. (٦) وهي قراءة حمزة والكسائي.
(٥٧) انظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٢٨٩ .

والذي نميل إليه بهذا الخصوص أن كتّاب المصاحف العثمانية لم يخالفوا فيه ما كانوا عليه في الكتابة قبله، فقد كتبوا القرآن بحضرة رسول الله ﷺ على هذا الرسم، كما كتبوه في صحف أبي بكر رضي الله عنه بالرسم نفسه، فلم يخالفوا ما تعارفوا عليه من الرسم منذ البداية اللهم ما كان من أمر تجريد ذلك من النقط والشكل(١).

* **ومن أمثلة ما زيد في الرسم العثماني :**

١ - زيادة الألف :

أ ـ في أول الكلمة : كقوله تعالى : ﴿ **لأاْذْبَحَنَّهُ** ﴾ [النمل : ٢١] وقوله : ﴿ **وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ** ﴾ [التوبة : ٤٧].

ب ـ في وسط الكلمة : مثل قوله تعالى : ﴿ **لا يايئس** ﴾ [يوسف : ٨٧] وقوله: ﴿ **أَفَلَمْ يَيأَسِ** ﴾ [الرعد : ٣١].

ج ـ في آخر الكلمة : مثل قوله تعالى : ﴿ **يَرْجُوا** ﴾ [الكهف : ١١٠، والأحزاب : ٢١، والزمر: ٩، والممتحنة: ٦] و﴿ **يَدْعُوا** ﴾ [البقرة: ٢٢١، يونس: ١٠، الحج: ١٢، ١٣، وفاطر : ٦، والزمر : ٨، والأحقاف : ٥، والانشقاق : ١١] وذلك عند إسناد الفعل للمفرد الغائب بشرط ألا يتصل ضمير به(٢).

قال الزركشي : إنما زيدت الألف في مثل هذه الأفعال مع الواو " تنبيهًا على ثقل الجملة(٣)" أي جملة الفعل مع فاعله، إذ ما من فعل إلا ولزمه فاعله وليس كذلك الاسم، فالفعل أثقل لذلك ـ حسْب رأي الزركشي ـ من الاسم، ثم إن الواو أثقل حروف المد واللين – كما يرى – فكأن زيادة الألف هروب من ثقل ذلك كله لأن الألف من جنس الفتحة والفتحة أخَفُ الحركات جميعًا.

---

(١) انظر: الجمع الصوتي، ص ٢٩٦ .
(٢) انظر: صبح الأعشى جـ٣ / ١٧٧ .
(٣) البرهان جـ١ / ٣٨٢ .

ومنه أيضا زيادة الألف في ﴿إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ﴾ [النساء : ١٧٦] تنبيها على أنه كان ينبغي أن تكون صورة الهمزة ألفًا[١]. وزيدت للعلة نفسها في ﴿لا تَظْمَؤُا﴾ [طه: ١١٩] و ﴿مَا يَعْبَؤُا﴾ [الفرقان : ٧٧] و ﴿يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾ [يونس : ٤/ ٣٤] و﴿بُرَءَآؤُا﴾ [الممتحنة : ٤] و ﴿الضُّعَفَـؤُا﴾ [إبراهيم : ٢١ ، وغافر: ٤٧] فهذه الألفات زيدت رسما وهي لاحظ لها في النطق[٢].

٢ - زيادة الواو :

وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف : ١٤٥] وقوله: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ [الأنبياء : ٣٧] وذلك في مصاحف أهل المدينة وأهل العراق[٣]. ومنه زيادتها في : "أولئك" و"أولي" و"أولو" و"أولات" و"أولاء" حيث وقع ذلك من القرآن. وقد علل القلقشندي لزيادتها في أسماء الإشارة هذه بأنها إنما زيدت في "أولئك" للفرق بينها وبين "إليك" حيث إن رسمهما واحد إذا جرّدتا من الهمزة ونقطتيْ الياء - كما هو حال الرسم الأول - فزيدت الواو في "أولئك" لذلك، وزيدت في "أولي" للفرق بينها وبين "إلى" وزيدت في "أولو" و"أولات" حملا على زيادتها في "أولي"[٤].

٣ - زيادة الياء :

زيدت الياء في تسعة مواضع من المصحف، هي[٥] :

في آل عمران (الآية ١٤٤) : ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾

وفي الأنعام (الآية ٣٤) : ﴿مِن نَّبَإِى الْمُرْسَلِينَ﴾

وفي يونس (الآية ١٥) : ﴿مِن تِلْقَاءِى نَفْسِي﴾

---

(١) انظر: صبح الأعشى جـ٣/ ١٧٨ .

(٢) انظر:أمثلة أخرى في زيادة الألف :البرهان جـ١/ ٣٨٣ وما بعدها، والمقنع ص ٥٧ .

(٣) انظر: المقنع، ص ٥٣ . (٤) انظر: صبح الأعشي جـ٣/ ١٧٩ .

(٥) انظر:ذلك في :المقنع، ص ٤٧ .

وفي النحل (الآية ٩٠) : ﴿ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾

وفي طه (الآية ١٣٠) : ﴿ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ ﴾

وفي الأنبياء (الآية ٣٤) : ﴿ أَفَإِيْن مِتَّ ﴾

وفي الشورى (الآية ٥١) : ﴿ أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾

وفي الذاريات (الآية ٤٧) : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ ﴾

وفي القلم (الآية ٦) : ﴿ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾

وقد ظهر لنا أن الياء قد زيدت في هذه المواضع لأن لها حظّ من النطق في بعض القراءات عند من أبدل الهمزة السابقة عليها منها أو سهّل الهمزة فتكون الياء مدّا لها.

* **ومن أمثلة ما حُذف من هذا الرسم :**

١ ـ **حذف الألف** : وذلك في مواضع كثيرة من المصحف الشريف، من ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ [البقرة : ٩] بحذف الألف بعد الخاء، وفي قوله ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا ﴾ [البقرة : ٥١] بحذف الألف بعد الواو،وفي قوله: ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ [البقرة : ٨١] بحذف الألف بعد الهمزة، وفي قوله : ﴿ تَظَهَرُونَ عَلَيْهِم ﴾ [البقرة: ٨٥] بحذف الألف بعد الظاء، وفي قوله : ﴿ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة: ١٨٤] بحذف الألف بعد السين.

ويمكن تفسير حذف الألف في هذه المواضع ونحوها على وجهين :

ـ **الوجه الأول** : أن الألف فتحة طويلة، وعليه فهي ملحقة بالشكل حُذفت كما حُذفت الفتحة القصيرة حينما جردوا المصاحف من النقط والشكل. ولعلهم يكونون قد تأثروا في ذلك بما كان سائدا عند الأنباط من حذف الألف في كتابتهم(١). وهي عند أبي عمرو الداني إنما حذفت من الخط اختصاراً(٢). ولعل كثرة

---

(١) انظر: أصل الخط العربي وتطوره، ص ١٠١ . (٢) انظر: المقنع، ص ١٠ .

حذفها في المصاحف على هذا النحو-إذا ما قورن ذلك بحذف الواو والياء - إنما كان كذلك لأنها لا تكون إلا مدّا (صائتا) في حين تكون الواو أو الياء مدّا وتكون حرفا صحيحا (صامتا).

- **والوجه الثاني** : أنّ الألف حذفت في كثير من كلمات المصحف لأن تلك الكلمات ثبت فيها قراءتان : قراءة بالألف، وأخرى بغيرها كما هو الحال في قوله (ومايخدعون) فقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بن العلاء ذلك بالألف، وقرأها عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بغير ألف(١). كذلك الأمر في قوله (وإذ واعدنا) التي قرأها أبو عمرو بغير ألف، وقرأها بقية السبعة بألف(٢).

والأمر نفسه في قوله ﴿**وأحاطت به خطيئته**﴾ حيث قرأها نافع بالألف (خطيئاته) على أنها جمع مؤنث سالم، وقرأها بقية السبعة بغير ألف على أنّها مفرد(٣).

وقد حذفت الألف أيضا في الرسم العثماني بعد "يا" التي للنداء خاصة إذا وليها همزة.

٢ - **حذف الواو** : وذلك اكتفاءً بالضمة، ومن أمثلة ذلك :

﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق : ١٨] و﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ [الشورى : ٢٤](٤) و﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾ [الإسراء: ١١] و﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ [القمر : ٦].

وقد فسّر الزركشي حذف الواو من الأفعال الأربعة في الآيات السابقة بأنه كان "تنبيهًا على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدّة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود.(٥)"

---

(١) انظر: كتاب السبعة في القراءات، ص ١٤١ .

(٢) انظر: كتاب السبعة، ص ١٥٥، وانظر:حديثا مفصلا عن حذف الألف في كل من :أ-المقنع، ص١٠ – ٢٩، ب – البرهان في علوم القرآن ١ /٣٨٨-٣٩٧ .

(٣) انظر: كتاب السّبعة في القراءات، ص ١٦٢ .

(٤) والفعل "يمحُ" جملته مستأنفة وليس معطوفا على الفعل المجزوم "يختمْ" الذي قبله.

(٥) البرهان، جـ١ /٣٩٧ .

ومنه أيضا حذف هذه الواو من "داوُد" حيثما وقع ذلك من المصحف، ومن ﴿وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء : ٩٤].

٣ ـ **حذف الياء** : وذلك اكتفاء بالكسرة كما هو حال حذف الواو، وأمثلة ذلك كثيرة في المصحف[١]، منها في قوله تعالى : ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] وفي قوله : ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١] وفي قوله : ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] و﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقوله : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ﴾ [الرحمن: ٢٤].

ويرى القلقشندي أن ياء المنقوص (في مثل : الداعي) وياء صيغة منتهى الجموع (في مثل : الجواري) إنما حذفت في الرسم القرآني لعلة التعريف التي لحقت أسماءها[٢]. والأرجح عندنا أنها حذفت اجتزاءً بكسر ما قبلها منها، كما حذفت الواو اجتزاءً بضم ما قبلها منها.

* **ومن أمثلة ما غُيّر رسمه :**

١ ـ **كتابة الألف واواً** على لفظ التفخيم، وذلك في "الصلواة" و"الزكواة" و"الحيواة" و"الرّبوا" حيثما وقع شيء من ذلك في المصحف الشريف.

وكذلك كتابتها واواً في ﴿بِالْغَدَوٰةِ﴾ [الأنعام: ٥٢ ، الكهف : ٢٨] و﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور: ٣٥] و﴿النَّجْوٰةِ﴾ [غافر: ٤١] ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ [النجم: ٢٠].

٢ ـ **كتابة هاء التأنيث تاء مفتوحة**، وهي لغة طيئ، من ذلك: "رحمة" : مُدّت تاؤها في سبعة مواضع من القرآن، منها في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة : ٢١٨] وفي قوله: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢، الأعراف: ٥٦، هود : ٧٣، مريم : ٢، والروم : ٥٠].

---

(١) انظر: ذلك بشكل مفصّل في: المقنع ص ٣٠-٣٤، والبرهان ١/ ٣٩٨-٤٠٧ .

(٢) انظر: صبح الأعشى جـ٣/ ١٧٢ .

ومنه ورود كلمة " نعمة" بتاء مفتوحة في أحد عشر موضعا، منها في قوله : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣١].

ويلاحظ أن كل ما ورد في المصحف الشريف من "نعمة" و"رحمة" بتاء مفتوحة قد أضيف إليه اسم الجلالة (الله) أو مرادفه (ربك).

ومن ذلك أيضا فتح تاء "امرأة" في سبعة مواضع : ﴿ امْرَأَتُ عِمْرَانَ ﴾ [آل عمران: ٣٥] و﴿ امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ [القصص : ٩، والتحريم : ١١] و﴿ امْرَأَتَ نُوحٍ ﴾ [التحريم : ١٠] و﴿ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ﴾ [التحريم : ١٠] و﴿ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ﴾ [يوسف: ٣٠، ٥١]

ومنه فتح تاء "السُّنَّة" في خمسة مواضع منها في قوله : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر: ٤٣، والأنفال : ٣٨ ، وغافر: ٨٥].

٣ ـ كتابة نون التوكيد الخفيفة ألفا ؛ وذلك في موضعين :

في قوله تعالى : ﴿ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [يوسف: ٣٢] وقوله : ﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ [العلق: ١٥] .

٤ ـ وصل حروف بغيرها كتابة : ومنه وصل "أنّ" بـ "لا" إذا وقعت بعدها في المصحف ما عدا في عشرة مواضع، منها في ﴿ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ ﴾ [هود : ٢] و﴿ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ [يس: ٦٠]، كذلك وصلها بـ"ما" مطلقًا. و "إنّ" توصل بـ"ما" أيضا إلا في قوله تعالى : ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ [الرعد : ٤٠]

كذلك وصل "منْ" بـ "ما" ماعدا في ثلاثة مواضع هي قوله تعالى ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم [النساء: ٢٥] وقوله ﴿ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم ﴾ [الروم : ٢٨] وقوله ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم ﴾ [المنافقون: ١٠] وهي توصل بـ " مَنْ" مطلقا، أما "عَنْ" فتوصل بـ "ما" إلا في قوله تعالى : ﴿ عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

ومن ذلك أيضا وصل "بئس" بـ "ما"، ووصل "كلّ" بـ "ما" إلا في قوله تعالى ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩١] وقوله ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم : ٣٤] (١).

هذه نماذج للرسم العثماني سقناها على سبيل التمثيل لا الحصر وذلك مخافة التطويل، إذ أن الحديث عن هذا الرسم في شتى صوره أكبر من أن يحاط به في مثل هذه العجالة. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه النماذج من الرسم العثماني لا خلاف فيها في جميع المصاحف التي أرسلت إلى الأمصار الإسلامية.

ب - اختلاف مرسوم المصاحف

يلحق بالرسم العثماني الموحد المتميز بخصائصه المذكورة - يلحق بذلك ما اختلفت فيه تلك المصاحف الموجه بها إلى الأمصار من إثبات بعض الكلمات والحروف أو حذفها، وقد حصرها بعض الدارسين في تسعة وأربعين (٤٩) حرفا أو كلمة (٢)، وذكرها بعضهم فعدَّ منها اثني عشر (١٢) حرفا اختلف فيها أهل المدينة وأهل العراق، وثمانية وثلاثين (٣٨) اختلف فيها أهل الشام وأهل العراق، وأربعة(٤) أحرف اختلف فيها أهل الكوفة وأهل البصرة (٣).

إن هذه الأحرف المختلف فيها بين مصاحف الأمصار هي مما لا يمكن أن يحتويه رسم واحد فقصد لذلك توزيعه على المصاحف لثبوت تواتره أو شهرته إذ أن اختلاف المصاحف العثمانية في الهجاء إنما كان ليسع "من القراءات ما يرسم بصور مختلفة إثباتا وحذفا وإبدالا، فكتبت في بعضها برواية، وفي بعضها برواية أخرى... فكما اقتصر على لغة واحدة في جميع المصاحف - كما يرى بعضهم - اقتصر على رسم رواية

---

(١) انظر: دراسات في علوم القرآن، ص ١٦٤، ١٦٥ . (٢) انظر: القراءات المتواترة، ص ٩٣ .

(٣) انظر: معجم القراءات ١/ ٤٥-٤٩، وكتاب :المصاحف، ص ٤٩-٥٨ . وورد في كتاب : مقدمتان في علوم القرآن (ص ١١٧ وما بعدها) أن مَصْحَفَيْ أهل المدينة وأهل العراق اختلفا في "١٢" حرفا، واختلف مصحفا أهل الشام والعراق في نحو أربعين حرفا، ومصحفا أهل الكوفة والبصرة في خمسة أحرف.

واحـدة في كل مـصـحف، والمدار في القـراءة على عـدم الخـروج عن رسم تلك المصاحف[١]." وإنما كتبت هذه في البعض بصورة، وفي آخر بأخرى لأنها لو كررت في كل مصحف لَتُوَهِّمَ نزولها كذلك، ولو كتبت بصورة في المتن وبأخرى في الحاشية لكان ذلك تحكما أو مفاضلة فيما لا مفاضلة فيه [٢]. ولكان "في رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لاخفاء به، ففرقها [عثمان] في المصاحف لذلك، فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها لكي تحفظها الأمة." [٣]

وفي عرض حروف اختلاف مصاحف الأمصار من الإطالة التي تجعل الحديث يمتدّ أكثر من اللازم فيما أصبح معروفا مشهورا عند الدارسين، فنحن نشير هنا إلى أمثلة قليلة من ذلك منها [٤] :

١ - في اختلاف أهل المدينة وأهل العراق :

قـرأ أهل المدينة في سـورة البـقـرة (آية ١٣٢) "وأوصى" وقـرأ أهل العـراق "ووصّى".

وقرأ أهل المدينة في سورة آل عمران (آية ١٣٣) : "سارعوا إلى مغفرة" وقرأ أهل العراق "وسارعوا" بالواو.

وقرأ أهل المدينة في سورة الكهف (آية ٣٦) "خيـر منهـما منقلبا" وقرأ أهل العراق "خير منها".

وقرأ أهل المدينة في سورة غافر (آية ٢٦) "وأن يظهر في الأرض الفساد" وقرأ أهل العراق "أو أن يظهر".

---

(١) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص ١٠٠ .

(٢) انظر: معجم القراءات القرآنية ١ / ٥٠، وتاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص ١٠٠ .

(٣) المقنع، ص ١١٥ .

(٤) انظر: مجموع المختلف فيه بين المصاحف في : معجم القراءات ١ / ٤٥ - ٤٩، وكتاب: المصاحف ص ٤٩ - ٥٨ .

وقرأ أهل المدينة في سورة الشورى (آية ٣٠) "بما كسبت أيديكم" وقرأ أهل العراق "فبما كسبت".

وقرأ أهل المدينة في سورة الحديد (آية ٢٤) "فإن الله الغني الحميد" وقرأ أهل العراق "فإن الله هو الغني الحميد".

٢ - في اختلاف أهل الشام وأهل العراق :

قرأ أهل الشام في سورة البقرة (آية ١٥٩) "لم يتسنه" وقرأ أهل العراق "لم يتسنّ" بغير هاء.

وقرأ أهل الشام في سورة آل عمران (آية ١٣٣) "سارعوا" وقرأ أهل العراق "وسارعوا" بالواو.

وقرأ أهل الشام في سورة آل عمران (آية ١٨٤) "بالبيّنات وبالزبر" وقرأ أهل العراق "والزبر" بغير الباء.

وقرأ أهل الشام في سورة الأنعام (آية ٣٢) "ولدار الآخرة" وقرأ أهل العراق "وللدار" بلامين.

وقرأ أهل الشام في سورة البقرة (آية ٤٩) "وإذ أنجاكم" وقرأ أهل العراق "وإذ نجيناكم".

وقرأ أهل الشام في سورة يونس (آية ٣٣) "حقت كلمات ربك" وقرأ أهل العراق "كلمة" مفردا.

وقرأ أهل الشام في سورة غافر (آية ٢١) "كانوا هم أشد منكم" وقرأ أهل العراق "أشد منهم".

وقرأ أهل الشام في سورة الرحمن (آية ٧٨) "تبارك اسمُ ربك ذو الجلال" وقرأ أهل العراق "ذي الجلال".

٣ – في اختلاف أهل الكوفة وأهل البصرة :

قرأ أهل الكوفة في سورة الأنعام (آية ٦٣) " لئن أنجانا" وقرأ أهل البصرة "لئن أنجيتنا"

وقرأ أهل الكوفة في سورة الأنبياء (آية ٤) " قال ربي يعلم القول" وقرأ أهل البصرة "قل ربي" .

وقرأ أهل الكوفة في سورة الأحقاف (آية ١٥) "ووصّيْنا الإنسان بوالديه إحسانا" وقرأ أهل البصرة "حُسْنًا " .

ولا بد من التأكيد هنا على أن هذه الاختلافات مردها إلى ما قبل الجمع الكتابي للقرآن وكتابة المصاحف العثمانية، إذ القراءات جميعها مرجعها إلى فترة الوحي .

ج – عوامل تمسك المسلمين بالرسم العثماني:

كان للرسم العثماني عند المسلمين قيمة خاصة مما جعلهم يتمسكون به ولا يبغون التحوّل عنه، ولهم في ذلك حجج أهمها [١] :

١ – أن الرسم العثماني المصحفي أثر من آثار عهد النبوّة، به كتب كتّاب الوحي القرآن في حضرة رسول الله ﷺ .

٢ – أن كتابة القرآن بالرسم العثماني المعروف كان لأسرار لا تهتدي إليها العقول، خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية .

٣ – أن هذا الرسم قد أُجمع عليه، فبه كتب أبو بكر الصديق القرآن في صحفه بإشراك الصحابة ورضاهم، وتبعه عثمان – الذي نسب إليه هذا الرسم – فكتب به مصاحفه التي بثها في الآفاق على ملإ من الصحابة وبرضاهم أيضا .

٤ – أن الرسم العثماني متضمن لصور كثيرة من الأداء، فإذا ما هُدم بدعوى التيسير أو سهولة التناول للعموم هُدمت معه طرق أداء خاصة .

---

(١) انظر: بعض هذه العوامل بشكل مفصل في :الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٢٩٦ وما بعدها .

٥ – أن التمسك بالرسم العثماني هو من باب سدّ الذرائع ومنع استحسان كتابة القرآن بأي رسم آخر، لأنه إذا فتح هذا الباب فتح معه باب التغيير والتبديل في الكتاب.

٦ – أن الرسم العثماني – على الرغم مما قد يذكر له من عيوب – ليس هو بأسوأ من الرسم الإملائي الحديث الذي هو عرضة للتغيير والتبديل، ومخالفة للمنطوق من الكلام، وعدم مطابقته له في كثير من صوره في الكتابة العربية وفي غيرها من كتابات الأمم الحديثة مما يضيق المقال لذكره ههنا.

٧ – أن الاهتداء إلى قراءة القرآن قراءة صحيحة لابد فيها من المشافهة شأن كل علم نفيس يتحفّظ عليه، فلا يعوّل في ذلك على كتابة كيفما كانت درجة إتقانها، إذ أن في القرآن الكريم أشياء كثيرة لا تنضبط إلا من خلال الأداء السليم.

وما دام الأمر كذلك فإن المسلمين ليسوا في حاجة إلى تغيير كتابة المصحف التي ورثوها عن أسلافهم الأوائل والتي اكتسبت قدسية لديهم لارتباطها بأقدس كتاب سماوي.

كانت هذه عوامل تمسكهم بالرسم العثماني أوردناها بشكل مختصر، وهي عوامل دينية تاريخية في جوهرها، مضاف إليها عامل تمثيل هذا الرسم لقراءات تمثيلا صريحا أو رمزه إليها أحيانا سواء كان ذلك من قبيل الأصوات المختلفة فيما زيد أو حذف من الحروف أو كان من قبيل الأداء فيما غيّر رسمه.

د ـ أثر التحسينات التي أدخلت على الرسم العثماني :

إن التحسينات التي أدخلت على الرسم العثماني لاحقا منذ عهد الخليفة علي ابن أبي طالب، والتي عُهد بها إلى جملة من أئمة العربية أمثال أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ)، ونصر بن عاصم الليثي (ت ٧٩ هـ)، ويحيى بن يعمر (ت ١٢٩هـ) والحسن البصري (ت١١٠هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) ـ هذه

التحسينات قد عملت في مجملها على تقليص دائرة القراءات القرآنية، سواء كانت تحسينات من قبيل الشكل، أو النقط، أو إثبات الهمزات وعلامات المد والصلة والإدغام والإخفاء والإظهار مما هو من قبيل الأداء [١]، كل ذلك كانت له نتائج ذات حدين :

ـ أحدهما: هو تقليص دائرة القراءات، حيث كان غير ممكن مع هذه التحسينات والعلامات إلا التعبير عن بعض القراءات لا يتجاوز عددها في غالب الأحيان القراءة الواحدة، ولذلك وجدت المصاحف قد اختلفت منذ عصر أبي الأسود الدؤلي، وذلك بحسب القراءة المتواترة التي ينهج عليها صاحب المصحف، فثمة مصحف مرسوم بما يوافق قراءة أبي عمرو بن العلاء، وآخر مرسوم بما يوافق قراءة نافع وهكذا[٢]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن المصاحف المطبوعة المتداولة على أيامنا هذه أربعة هي : مصحف حفص، ومصحف قالون، ومصحف ورش، ومصحف الدوري[٣].

ـ والحد الثاني: هو حد إيجابي بحيث أمكن بإدخال هذه التحسينات لأن يَقْبِلَ على المصحف العامة والخاصة من المسلمين فيقرؤون فيه القرآن بعد أن ذُلِّلَ رسمه وقُرِّب فَهْمُهُ من خلال تلك التحسينات فصار في متناول عامة المسلمين بعد أن كان يمثل في كثير من صوره طلاسم يصعب على العامة فك رموزها. غير أن ذلك لا يعني أبداً أن المصحف أصبح مُغنيا عن التلقي الشفوي للقرآن من أهل الأداء العارفين لقراءاته المختلفة لأن القراءات هي الأصل والرسم تابع لها[٤]، إذ أن الاعتماد على المصحف في القراءة قد يؤدي إلى فهم خاطئ للمقروء من القرآن يبلغ في بعض الأحيان حد قلب الدلالة تماما ؛ ذلك ما يمكن حدوثه في قراءة " لأاذبحنّه » [النمل: ٢١] – على سبيل المثال ـ المرسومة بألف زائدة بعد الهمزة، فقد يؤدي ذلك إلى قراءتها بصورة النفي لا التوكيد، ومن ثم وجب التعويل على سماع المشايخ

---

(١) انظر: نماذج من وجوه القراءات المتواترة التي غابت عن الرسم ومن ثم القراءة في كتاب : القراءات المتواترة، ص ٩٩ ـ ١١٧ .

(٢) انظر: القراءات المتواترة، ص ٩٩ . (٣) انظر: المرجع نفسه، ص ١٠٤ .

(٤) انظر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص ١٢٧ .

المجوّدين العارفين بأحكام القراءة الصحيحة، وليس التعويل على مرسوم المصاحف، ذلك هو السبيل الصحيح، فمن خالفه واعتمد على المصحف في رسمه القديم المحسن وغير المحسن لم يسلم من الخلط في القرآن، وقد يقرأ الجمع مفرداً والمفرد جمعًا، والإثبات نفيا والنفي إثباتا، وقد يخل بالمعنى إخلالا بيّنا[1]. فالاحتياط واجب قديما وحديثا، قبل التحسين وبعد التحسين مخافة الخروج عن القراءات المشهورة والمتواترة إلى ما سواها مما امتنعت القراءة به.

هـ الرسم العثماني والتصحيف

إن الاعتماد في القراءة على المصحف في رسمه القديم الخالي من الإعجام والشكل قد أدى إلى تصحيفات[2] كثيرة بسبب تشابه صور حروف كثيرة. وقديما قال أرسطوطاليس : "كل كتابة تتشابه صور حروفها تولد السهو والغلط والخطأ فيها، لأن ما في الخط دليل على ما في القول، وما في القول دليل على ما في الفكر، وما في الفكر دليل على ما في ذوات الأشياء[3]."

ومن أمثلة تصحيفاتهم التي رويت[4] :

(أ) أن عثمان بن أبي شيبة أحد شيوخ البخاري (ت ٢٣٩ هـ) قرأ في قوله تعالى ﴿ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴾ [يوسف : ٧٠] "رجل" بالجيم بدل الحاء، وقرأ في قوله ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ [العاديات: ١] "صَبْحًا" بالصاد بدل الضاد، وقرأ في قوله ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [الواقعة : ٣٤] "مرقوعة" بالقاف بدل الفاء، وقرأ في قوله ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ ﴾ [الأعراف : ١٥٠] "يجزه" بالزاي بدل الراء.

---

(١) انظر:الفرقان لابن الخطيب، ص ٨٦ .

(٢) التصحيف :هو قراءة الشيء بخلاف ما أراد كاتبه، وأصل معناه :أخذ العلم من الصحف من غير مجالسة العلماء فيه. انظر: التنبيه على حدوث التصحيف، ص ٢٦ .

(٣) التنبيه على حدوث التصحيف، ص ٢٧ .

(٤) انظر ذلك في :التنبيه على حدوث التصحيف، ص ٤، وانظر: أمثلة أخرى، ص ١٥٤ وما بعدها.

(ب) وقرأ حماد الراوية في قوله تعالى ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح : ٩] "تعززوه" بالزاي بدل الراء[١]، وقرأ في قوله ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [التوبة : ٣٥] "غَلْيُها" بالغين بدل العين، وفي قوله ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص : ٥٥] "لا نتبع" بالتاء ثم الباء ثم العين بدل الباء ثم التاء ثم الغين من بغى الشيء يبغيه بغاء إذا طلبه[٢].

(جـ) وأن حمزة بن حبيب الزيات ـ أحد القراء السّبعة ـ كان يتعلم القرآن من المصحف فقرأ يومًا وأبوه يسمع "الم، ذلك الكتاب لا زيت فيه" بالزاي المعجمة بدل ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ [البقرة : ٢] بالراء المهملة ، فقال له أبوه : دع المصحف وتلقن من أفواه الرجال[٣].

(د) وحكى الكسائي ـ أحد السّبعة وتلميذ حمزة الزيات ـ قال : "كان الذي دعاني أن قرأت بالريّ أني مررت بمعلم صبيان يقرأ ﴿ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ ﴾ [سبأ:١٦] بالتاء (في : أتل) بدلا من "أثل" فتجاوزته فإذا معلم آخر قد ذكرت له ذلك، فقال : أخطأ، الصواب : "وإبل" ! فدعاني أني أقرأت الصبيان[٤]"

فهذه الأمثلة وغيرها مما لم نذكره تؤكد أنه لابديل عن سماع أو مشافهة أهل الدراية بالقراءات قبل الاعتماد على مرسوم المصاحف، ومثل تلك التصحيفات هو الذي جعل علماء المسلمين لا يجيزون الاكتفاء بالأخذ من المصحف بدون موثّق[٥] وهو الذي دفعهم أيضا لأن يقولوا : لاتأخذوا القرآن من مَصْحَفِيّ ولا العلم من صُحُفيّ[٦] خاصة إذا علم أن من القراءات ما لا يمكن إحكامه أبدًا إلا بالتلقي الشفهي

---

(١) وقيل :هي قراءة آحاد لابن عباس

(٢) انظر: لسان العرب ١ / ٣٢١ مادة "بغا".

(٣) انظر: ظاهرة الإعراب في النحو العربي، الدكتور :أحمد سليمان ياقوت ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٣، ص ٢١٧ .

(٤) الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١٠٦، و انظر:أمثلة أخرى، ص ١٠٤-١٠٦ .

(٥) انظر: الجمع الصوتي، ص ١٠٩ . (٦) انظر: ظاهرة الإعراب في النحو العربي، ص ٢١٧ .

كالتفخيم و الترقيق، والمد والقصر، والإدغام والإظهار والإخفاء، والروم والإشمام، والفتح والإمالة، وتخفيف الهمز، وغير ذلك مما لايكفي المصحف المكتوب لتعليمه(١).

ولعل من حكم الرسم العثماني أنه وضع بذلك الشكل ـ الذي يبدو للعامة مضطربا ـ لتظل المشافهة هي الأساس في قراءة القرآن الكريم.

ثالثا: المستشرقون وتعدد القراءات

خاض المستشرقون في الدارسات القرآنية، وكان على رأس ذلك القراءات القرآنية، وقد كان هدفهم من وراء ذلك ـ عند كثير منهم ـ هو إثبات أنه لايوجد متن واحد للقرآن فقط، بل أكثر من ذلك، وهو أمر يبرر دعواهم ببشرية القرآن(٢).

ويرى كثير من هؤلاء المستشرقين أن الرسم العثماني المصحفي هو السبب في تعدد القراءات القرآنية ؛ قال بذلك "جولد تسيهر" في كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي"، و"تيودور نولدكه" في كتابه "تاريخ القرآن"، و"آرثر جفري" في مقدمة تحقيقه لكتاب "المصاحف"لابن أبي داود السجستاني و"كارل بروكلمان" في كتابه "تاريخ الأدب العربي".

فهؤلاء الأربعة ومن سار في دربهم من أذنابهم أو التقى مع رأيهم صدفة ممن تقدمهم من الدارسين المسلمين، كلهم ينهجون النهج نفسه في نظرتهم إلى تعدد القراءات القرآنية فيفسرون ذلك في إطار طبيعة الرسم الذي كُتِب به القرآن في المصاحف العثمانية.

ولا يخرج عن ذلك الإطار في نظرهم إلا النزر القليل الذي استبعد في نسخ

---

(١) انظر: الجمع الصوتي، ص ١١١ .

(٢) انظر: مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن، مقال للدكتور عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، السنة الـ ١٤، العدد ٣٨، سنة ١٩٩٩، ص ٧١ .

المصاحف العثمانية من قراءة الآحاد و الذي نشأ "من إضافة زيادات تفسيرية[١]" أو ما تسومح في قراءته بالمرادف من طرف بعض الصحابة[٢] وقد علمت أن هذين النوعين لم يكن له حظ ضمن القراءات المتواترة والمشهورة، ولكن هؤلاء المستشرقين ومن نهج نهجهم يحفظونهما كنوعين من أنواع القراءات المتميزة التي لا دخل للرسم العثماني فيها، أما ماعداها من القراءات المتواترة والمشهورة المختلفة فإن الرسم العثماني هو السبب في نشأتها حسب رأيهم ؛ فهذا "جولد تسيهر" يقول : "وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدّم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة[٣] تبعا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط، بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية[٤] يدعو اختلاف الحركات ـ الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده ـ إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبهذا إلى اختلاف دلالتها. وإذًا فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات في المحصول الموحّد القالب من الحروف الصامتة كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطا أصلا أو لم تُتحرَّ الدّقة في نَقْطه أو تحريكه[٥]."

إن اختلاف القراءات في رأي "جولد تسيهر" ـ كما يبدو ـ متأخر عن عهد النبوّة وعهد الصحابة، حادث بإحداث النقط والشكل، أي أن القراءات هي نتيجة اجتهاد علماء العربية المسلمين في نقط النص القرآني وشكله، فعنده أنّ قراءة كلمة "بُشْرًا" من قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا ﴾ [الأعراف : ٥٧] بالباء، و قراءتها "نَشْرًا" بالنون، إنما ذلك هو نتيجة اجتهاد "في تحلية الهيكل المرسوم بالنقط[٦]"

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ١٥، ١٦ . (٢) انظر:المرجع نفسه، ص ٢٦، ٢٧ .

(٣) مقادير صوتية مختلفة :إشارة منه إلى تشابه صور حروف كثيرة في العربية.

(٤) تساوي المقادير الصوتية :يعني بها اتفاق قراءات في قراءة الهيكل أو الرسم الواحد صوتا واحدا.

(٥) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨ ، ٩ . (٦) مذاهب التفسير الإسلامي، ص٩ .

كذلك كلمة "فتبينوا" من قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [النساء : ٩٤] التي قرئت أيضا "فَتَثَبَّتُوا"، والسبب في ذلك حسب زعمه إنما يعود لكون "الهيكل المرسوم يحتمل الوجهين[١]" فمثل هذين المثالين السبب في قراءته بأكثر من قراءة واحدة هو اختلافهم في نقط ما تشابه من الرسم حسب زعم "جولد تسيهر".

ومثال ماكان نتيجة اختلافهم في الحركات قراءتهم ﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الحجر : ٨] بنونين؛ الأولى مضمومة و الثانية مفتوحة ثم زاي مكسورة مضعّفة، على اعتبار أن الفعل مبني للمعلوم، و"الملائكة" مفعول به[٢]. و قراءة ذلك: "ما تَنَزَّلُ الملائكةُ" بتاء مفتوحة ثم نون فزاي مضعّفة مفتوحة[٣] على اعتبار أن الفعل مبنيٌ للمعلوم حذفت تاؤه الثانية لتوالي الأمثال (أصله : تتنزّل) و"الملائكة" فاعل، وقراءتها أيضا "تُنَزّل" بضم التاء[٤]، على اعتبار أن الفعل مبني للمجهول، و"الملائكة" نائب عن الفاعل، فاختلاف حركات ذلك يعود حسب رأيه لجواز احتمال الكلمة لتلك الأوجه وليس لأمر آخر.

إن رأي "جولد تسيهر" هذا لايختلف عمّا كان "تيودور نولدكه" قد قرره من قبل في كتابه "تاريخ القرآن" وهو الكتاب الذي وصفه "جولد تسيهر" بالكتاب الأصيل البكر، ووصف صاحبه بالزعيم الكبير[٥].

وهو رأي يتطابق أيضا مع ماذهب إليه « آرثر جفري » من أن القارئ كان « يتولى بنفسه نقط النص القرآني وضبطه بالشكل على مقتضى ما يفهمه هو من معاني الآيات[٦] » فعنده على سبيل المثال أن كلمة « يعلمه » كان الواحد يقرؤها

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ١٠ .
(٢) وهي قراءة حمزة و الكسائي وحفص عن عاصم.
(٣) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر.
(٤) وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر.
(٥) انظر: مذاهب التفسير الإسلامي، ص٧ .
(٦) الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١١١ .

« يُعَلِّمُهُ » و الآخر « نُعَلِّمُهُ » والثالث "تَعْلَمُهُ" والرابع "يَعْلَمُهُ" ... إلخ[١]، فالقراءات - حسب رأيه - هي "من عند الناس وبحسب تأويلاتهم وبحسب مايختارون من علامات الشكل فضلا عما يختارون من حروف[٢]".

ولا يخرج عن هذا المنحى ماكان "كارل بروكمان" قد ذهب إليه هو الآخر في شأن اختلاف القراءات القرآنية حيث يقول : "فتحت الكتابة التي لم تكن قد وصلت بَعْدُ إلى درجة الكمال مجالا لبعض الاختلافات في القراءة، لاسيما إذا كانت غير كاملة النقط و لامشتملة على رسوم الحركات فاشتغل القراء – على هذا الأساس – بتصحيح القراءات و اختلافاتها[٣]".

ولا يخرج عن ذلك أيضا ما كان المستشرق « ولتش » قد قرره عند تحريره لمادة "قرآن" في موسوعة الإسلام، حيث ادعى - عند حديثه عن القراءات - أن هناك قراءات جديدة استحدثت في عصر بني أمية[٤] من طرف المسلمين اختيارا منهم حسْب زعمه.

فهذه نماذج من المسْتشرقين تلتقي حول منحى واحد هو أن معظم القراءات –إن لم تكن كلها– مرجعه إلى اجتهاد المسلمين أنفسهم بسبب كون الخط الذي دوّن به القرآن خطا منقوصا حسْب زعمهم، وهي دعوى باطلة تصب في منحى عام عند هؤلاء هو التحامل على الإسلام وأهله بل ذهب بعضهم إلى القول ببشرية القرآن وهو مانجده عند كبيرهم « نولدكه » من أن رسول الله ﷺ كان يلجأ إلى التغيير والتبديل في القرآن مجاراة للسجع حملا على ما كان عند الشعراء في مجاراتهم للقوافي[٥].

---

(١) انظر: مقدمة كتاب: المصاحف لابن أبي داود ، تحقيق : آرثر جفري ص٧، والجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١١١ .

(٢) مقدمة كتاب المصاحف (آثر جفري) ص٧ .

(٣) تاريخ الأدب العربي،كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار،الطبعة الثانية،جـ١ / ١٣٤ .

(٤) انظر: مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن (مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية) ص٧٣ .

(٥) انظر: المرجع نفسه، ص٧٠ .

وقد وجد لآراء هؤلاء المسْتشرقين في اختلاف القراءات صدى لدى بعض الدارسين العرب فتأثروا بها ونهجوا على نهجها، يأتي على رأس هؤلاء "جواد علي" الذي يرى أن اختلاف القراءات يرجع إلى أسباب أهمها "مسائل ظهرت بعد نزول الوحي من خاصية القلم الذي دوّن به القرآن الكريم ؛ فرسم أكثر حروف هذا القلم متشابه، و المُمَيِّزُ فيها هو النقط، وقد ظهر النقط بعد نزول الوحي بأمد، ثم إن هذا القلم كان خاليا في بادئ أمره من الحركات، وخلوّ الكلم من الحركات يحدث مشكلات عديدة في الضبط من حيث إخراج الكلمة، أي كيفية النطق بها، ومن حيث مواقع الكلام في الإعراب[1]."

وللتدليل على صحة مايراه "جواد علي" – حسب زعمه – نجده يحيل إلى الشواهد التي أوردها "جولد تسيهر" وهي التي أشرنا إليها قبل قليل.

ومن هؤلاء أيضا "ابن الخطيب" في كتابه "الفرقان" الذي لم يثبت تأثره بآراء المستشرقين في أمر القراءات، ولكنه يلتقي معهم ويرى رأيهم فعنده أن ما "حدا ببعض القراء إلى قراءة ما يقرؤونه هو اختلاف رسم المصحف.[2]"

ولئن صُنِّفتْ آراء المستشرقين في أمر اختلاف القراءات القرآنية في خانة معاداة الإسلام والتحامل على أهله فإنه قد ثبت وجود من رأى رأيهم من المسلمين أنفسهم خلال مراحل متقدمة ربما كان ذلك منطلقا لهؤلاء المسْتشرقين أو سندا لهم في تماديهم؛ فقد روّج لهذا الرأي في القرن الرابع الهجري ابن مقسم العطار (ت ٣٥٤ هـ)، قيل إنه جعل القراءة تابعة للرسم دون الاعتماد الكامل على السند، من ذلك أنه كان يقرأ كلمة "نجى" من قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ [يوسف : ٨٠] "نُجَبَاء"[3]، وقيل : إن له كثيرا من هذا الجنس من تصحيف الكلمة،

---

(١) لهجة القرآن الكريم، بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثالث، الجزء الثاني ١٩٧٩، وانظر: الجمع الصوتي الأول، ص ١٥٩ .

(٢) الفرقان، ص ١٢٢ .

(٣) انظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٢٣٤،ومقدمة كتاب السبعة في القراءات، ص ١٩ .

واستخراج وجه بعيد لها مع كونها لم يقرأ بها أحد[1]. وكذلك كان ابن شنبوذ (ت ٣٢٨ هـ) قبله يرى أن "ماوافق خط المصحف العثماني صحت القراءة به متى صح وجهه في العربية بقطع النظر عن الرواية[2]."

وكان الزمخشري في الكشاف "يذهب إلى إنكار قراءة ابن عامر بجر "شركائهم" من قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [الأنعام : ١٣٧] على إضافة "القتل" إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف، فكان يقول : "والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مكتوبا بالياء[3]"، وهو ما يفهم منه أن ابن عامر إنما قرأ كذلك - بالجر - رأيا منه واجتهادا في ضوء مرسوم المصحف. والحقيقة أن ذلك ظن من الزمخشري إذ أن الذي قرأ به ابن عامر، وهو الجر، مشهور في الأثر مسموع قبل أن يفرد له رسم في مصحف الشاميين.

وقبل هذا نجد من علماء المسلمين أنفسهم من ذهب إلى حد المفاضلة بين القراءات القرآنية وتقسيمها إلى درجات فمنها ماهو أصل، ومنها ماهو أحسن، ومنها ما هو أفصح، ومنها ماهو أغرب وهكذا...إلخ[4].

رابعا : الرد على رأي المستشرقين

إن رأي جولد تسيهر وبقية المستشرقين الذين ذهبوا مذهبه بيّن الفساد لا يحتاج إلى إعمال فكر للرد عليه، إذ أن الأدلة على اختلاف القراءات لأسباب موضوعية تقوم بمناقضته وضحده سواء أكانت أدلة تاريخية نقلية أم كانت أدلة منطقية عقلية، ويمكن توضيح ذلك كما يلي :

---

(١) انظر: مقدمة كتاب السّبعة في القراءات، ص ١٩ .

(٢) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص ٢٤، ومذاهب التفسير الإسلامي ص٨ بالهامش.

(٣) الكشاف جـ٢ / ٧٠، وانظر: القراءات القرآنية في بلاد الشام. د.حسين عطوان، ص ٣٤٥ .

(٤) انظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١٤٧، ١٤٩ .

١ ـ إنه يبعد ـ منطقيا ـ أن يترك أمر القرآن إلى البشر سواء أكانوا من الصحابة أم غيرهم من المسلمين يقرؤونه بالاجتهاد لا بالتلقي لأن ذلك يؤدي إلى تعرض نصوصه للاختلاف والتحريف، ولو حصل ذلك ـ لا قدر الله ـ لأصبح بعض القرآن من كلامهم لامن كلام الله، ولأدى ذلك إلى إبطال صفة الإعجاز في القرآن، وهي صفة يؤمن بها المسلمون جميعا.

إن رسول الله ﷺ لا يملك هو نفسه أن يبدل من القرآن شيْئاً فكيف يخوّل المسلم لنفسه أن يجتهد في ذلك بشيء كثير أو قليل وهو مما يؤدي إلى تبديل في القرآن ؟ فإن حصل، فإن ذلك أمر لا يرغب فيه إلا معادٍ للإسلام.

إنه لا سبيل إلى الاجتهاد في هذا الأمر، ولذلك وجدت أباعمرو بن العلاء ـ أحد القراء السّبعة ـ يقول : "لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا كذا[١]" وكانت إجابته تصب في هذا المنحى حينما سأله الأصمعي عن قوله تعالى ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ [الصافات: ١٠٨] وقوله ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾ [الصافات: ١١٣] المتماثلتين في الخط : "كيف يعرف نطقهما والفرق بينهما وهما في مصحف عثمان بهيئة واحدة ؟ فأجابه : ما يعرف ذلك إلا أن يُسمع من المشايخ الأولين[٢]" أي أنه غير مباح الاجتهاد في قراءة ذلك، فالسماع هو الحكم الفيصل، وكذلك كان بقية أئمة القراءة لا يخرجون على الأثر[٣].

٢ ـ ومن ملزوم رأي القائلين بأن اختلاف القراءات هو وليد النقط والشكل الذي تمّ بعد أمد من كتابة المصاحف العثمانية ـ أن يكون القرآن قد ظل طوال عهد النبي ﷺ، ثم طوال عهود الصحابة والتابعين غير محفوظ ولا مقطوع بكيفيات النطق به، حتى إذا جاء النقط والشكل بدأ الناس يقرأون القرآن على وِفْقِ ما يؤديه النقط والشكل إلى أفهامهم.

---

(١) معرفة القراء الكبار جـ١ / ١٠٢ . (٢) مقدمة كتاب السبعة في القراءات، ص ١٢ .
(٣) انظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن ص ١٧٠، ١٧١ .

ولا شك أن هذا الرأي و ملزومه واضحا البطلان، وهما أضعف من أن يواجها الفهم المستقيم والحقيقة غير القابلة للنقض فضلا عَمّا تهدي إليه بديهة العقل[١].

٣ ـ إن خط المصحف ـ حتى بعد النقط والشكل ـ قد لا يطابق أحيانا القراءات، وقد وضح ذلك من خلال عرضنا لنماذج من هذا الخط من قبل، وهاهي أمثلة أخرى تؤيد ذلك :

أ ـ رسم الهمزة المتطرفة على الواو، من ذلك :

أَبْنَاؤُا (أبناء) [سورة المائدة، الآية ١٨] .

جَزَاؤُا (جزاء) [سورة المائدة ، الآية ٣٣] .

شُرَكَاؤُا (شركاء) [سورة الأنعام، الآية ٩٤].

مَانَشَاؤُا (مانشاءُ) [سورة هود، الآية ٨٧] .

نَبَؤُا (نبأ) [سورة إبراهيم، الآية ٩] .

الضُّعَفَاؤا (الضعفاء) [سورة إبراهيم، الآية ٢١] .

ب – وقد علمت أن هناك كلماتٍ كثيرةً في الرسم العثماني غير مطابقة للرسم الإملائي ومخالفة للقراءات، من ذلك "أن القراء السبعة أجمعوا في سورة قريش على قراءة ﴿إِيلَافِهِمْ﴾ [الآية ٢] بالياء ـ بعد الهمزة ـ مع كتابتها في المصاحف العثمانية بلا ياء[٢]."

وقد علمت أيضا أن كلمات كثيرة قد زيدت فيها حروف لا مقابل لها في القراءة منها كلمة ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُ﴾ [النمل : ٢١] وكلمة ﴿شَايْءٍ﴾ [الكهف: ٢٣] (شيء) وكلمة ﴿جَايءَ﴾ [الفجر: ٢٣] (جيء) أي بزيادة ألف في الكلمات الثلاث[٣].

---

(١) الجمع الصوتي الأول للقرآن،ص ١٧٠ . (٢) الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ١٦٨ .
(٣) انظر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص ١٢٦، ١٢٧ .

جـ ـ ومنه أن كلمة "لؤلؤ" في قوله تعالى ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر: ٣٣] وردت في بعض المصاحف بغير ألف ومع ذلك قرأها بعضهم "لؤلؤًا " بالنصب على أنها مفعول به، وأن الكلمة نفسها (لؤلؤ) في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج: ٢٣] وردت في جميع المصاحف بالألف ومع ذلك قرأها بعضهم بالخفض (لؤلؤٍ) على أنها معطوفة على ذهب[١].

د ـ ومنه أن كلمة "جبريل" قد قرئت بعدة أوجه :

- **أحدها** : بكسر الجيم أو بفتحها (جِبْريل)
- **وثانيها** : بفتح الجيم والراء، وبعد الراء همزة مكسورة ممدودة (جَبْرَئِيل).
- **وثالثها** : بفتح الجيم والراء ثم همزة مكسورة غير ممدودة (جَبْرَءِل)

وكذلك حال كلمة "ميكال"، فإنها قد قرئت :

"مِيكَال" بلا همزة، و"مِيكَائِيل" بهمزة مكسورة ممدودة، و"مِيكَاءِل" بهمزة مكسورة غير ممدودة[٢].

٤ ـ إن ثمة قراءات كثيرة يحتملها الرسم واللغة ولكن لم يقرأ بها أبداً "لأنه لم يكن لها سند صحيح يعتد به مِنْ نقل أو رواية[٣] "، من ذلك :

ـ كلمة ﴿ مُكْثٍ ﴾ [الإسراء : ١٠٦] لم تقرأ إلا بضم الميم مع أن اللغة تجيز فيها الضم والفتح والكسر[٤].

---

(١) انظر: كتاب السبعة في القراءات، ص٤٣٥، ٥٣٤، ٥٣٥ .

(٢) انظر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص ١٢٦ .

(٣) رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، دوافعها ودفعها د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، جدة، طبعة ثانية ١٩٨٣، ص ٣٣ .

(٤) انظر: لسان العرب مادة "مكث" والجمع الصوتي، ص ١٦٩ .

- كذلك كلمة ﴿الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣ ، والنساء: ٢٣] : لم تقرأ إلا بفتح الراء مع أنه يجوز فيها الكسر لغة(١).

- وكلمة "مالك" في قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] رسمت بدون ألف، ومع ذلك لم تُقرأ إلا بفتح الميم مع المد، وأن الكلمة نفسها في قوله تعالى ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢] رسمت كذلك بغير الألف ولم تُقرأ إلا بغير المد. والكلمة نفسها في قوله تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] مرسومة كذلك بغير ألف إلا أنها قرئت بالمدّ و بغيره، لا لشيء إلا لأنها سُمعت كذلك من في رسول الله ﷺ. فلو كان الرسم - كما زعم الرهط من المستشرقين ومن التقى معهم في ذلك - سببا في قراءة ماقُرئ به لاختلف رسم كلمة "ملك"، ولكن القراءة تبنى على الأثر السّمعي لا الرَّسمي، وكثير من الكلمات القرآنية التي يجوز احتمال قراءتها بأكثر من شكل لم يرد في قراءتها إلا شكل واحد(٢).

٥ - إن ذلك الرأي قد أغفل حقيقة تاريخية هامة هي أن المسلمين لم يعتمدوا في نقل القرآن - بقراءاته المختلفة - على خط المصاحف، وإنما اعتمدوا على حفظ الصدور والقلوب، وهي خاصية تميز بها أهل القرآن في حفظ كتابهم المقدس. وقد عرضنا لذلك في الفصل الثاني من هذا البحث حيث اعتبرنا أن حفظ القرآن في الصدور عن ظهر قلب أهم وسيلة في توثيق نصه، وذلك بخلاف أهل الإنجيل الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرؤونه كلّه إلا منها، ومن ثم فإن أمثلة القراءات الصحيحة المختلفة التي استشهد بها "جولد تسيهر" وغيره بدعوى أنها تابعة للخط وناشئة عنه هي في الحقيقة مبنية على تواتر الرواية والتلقي الشفوي.

وقد علمت أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يختلفون في قراءة القرآن ثم

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة "رضع".

(٢) انظر: رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، ص ٣٣ .

يحتكمون إلى رسول الله ﷺ فيقرّ كلاً منهم على قراءته، ومعنى ذلك أن هذا الاختلاف في القراءات ثابت منذ البدء وليس مستحدثا مع الرسم العثماني[١].

وقد عُلم ـ لاحقا ـ أن القراء ماكانوا ليُعَوّلوا على مصحف في معرفة القراءات وإتقانها، بل كانوا يشّرقون ويغربون في بلاد الإسلام بحثا عن من هم أهل للمشافهة والسماع[٢]، فكنت تسمع أو تقرأ أن فلانا قَدْ مَهَرَ في القراءة وأن آخر قد أجيز فيها... إلخ

إن الاستقراء التاريخي الموضوعي يثبت أنه لم ينقل عبر القرون كتاب سماوي أو غير سماوي بالتواتر القطعي والإسناد الصحيح عن الثقاة والعدول الضابطين طبقة بعد طبقة مثلما وقع للقرآن ؛ فقد تلقاه الصحابة رضي الله عنهم من النبي ﷺ نفسه حرفا حرفا، لم يهملوا منه حركة ولاسكونا ولا إثباتا ولا نفيا[٣]."

٦ ـ إن القراءات ليست نتيجة لخلو الخط من النقط والشكل بدليل أن المسلمين كانوا يختلفون في بعض مواضع القرآن على ياء أو تاء، ثم هم في مواضع أخرى مماثلة يتفقون على أحد هذين الحرفين و لايختلفون.

ومن أمثلة ما اتفقوا فيه على حرف واحد من الحرفين قوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٤٥] .

﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة يونس، الآية ٥٦] .

﴿ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة القصص، الآية ٨٨].

﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة يس، الآية ٢٢].

---

(١) انظر: رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، ص٢٣ .

(٢) انظر: الجمع الصوتي للأول للقرآن، ص ١٦٤ .

(٣) النشر جـ١ / ٦، وانظر: الجمع الصوتي، ص ١٦٤، وتاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص١٢٣ .

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الزمر، الآية ٤٤].

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة فصلت، الآية ٢١].

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآية ٨٥].

فكلمة "تُرجعون" من هذه الآيات المذكورة متفق على أنها قرئت بالتاء في أولها فقط، ولم تقرأ بالياء.

ومما اتفق على أنه قرئ بالياء فقط قوله تعالى :

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٣٦].

﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [سورة مريم، الآية ٤٠].

ومما اختلف فيه بين التاء والياء قوله تعالى :

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٥٧].

قرأها شعبة عن عاصم بالياء (يُرجعون)، قرأها بقية السّبعة وحفص عن عاصم بالتاء(١)

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الروم، الآية ١١].

قرأها أبو عمرو بن العلاء وشعبة عن عاصم بالياء، وقرأها بقية السّبعة وحفص عن عاصم بالتاء(٢)

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٨٣].

قرأها حفص عن عاصم ويعقوب ـ أحد العشرة ـ بالياء وغيرهما بالتاء (ترجعون)(٣)

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٧٤].

---

(١) انظر: كتاب السبعة في القراءات، ص ٥٠٢.
(٢) انظر: المرجع نفسه ص ٥٠٦.
(٣) انظر: نفسه، ص ٢١٤.

قرأها ابن كثير بالياء (يَعْلَمُون) وغيره بالتاء[١].

﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الفتح: ٩].

قرأها ابن كثير وأبو عمرو بالياء في الأفعال الأربعة، وقرأها غيرهما بالتاء[٢].

فهذه أمثلة كان خلو الخط من النقط يبيح قراءتها بأكثر من شكل : بالتاء والياء وبغيرهما كالنون مثلا، إلا أنها لم تقرأ إلا بما قرئت به وهو مانقله الثقاة المحققون "كما علموه" عن الرسول ﷺ، ولذلك لم تُعتمد قراءة "تستكثرون" بالثاء المثلثة من قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٨] والتي استشهد بها "جولد تسيهر" فيما ذهب إليه[٣]، فهي قراءة ـ بالثاء ـ "منكرة ولا يعرف على وجه التحديد من قرأ بذلك[٤]" كذلك لم تعتمد قراءة حماد الراوية "أباه" بالباء بدل الياء من قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾ [التوبة: ١١٤] لأنها "قراءة منكرة بالاتفاق فليست من السبعة ولا الأربع عشرة، ولو كان مجرد الخط كافيا لاعتمدت[٥]."

فها أنت تلاحظ أن ربط القراءات بالرسم الخالي من النقط مجافٍ للحقيقة إذ أنه "لو كانت القراءات ترجع إلى ماذهب إليه ـ جولد تسيهر ـ لراعتنا هذه الكثرة الهائلة من القراءات التي يحتملها الرسم، والتي لم تثبت أو لم تُرو عن النبي ﷺ، ذلك لأن الرسم تحتمل الكلمة فيه ـ وبخاصة إذا لم تكن منقوطة أو مجردة من الحركات ـ وجوهًا عدة من القراءات. والقراءات التي بين أيدينا والتي صنّفها العلماء ودققوا في عرضها

---

(١) انظر: كتاب السبعة فى القراءات، ص ١٦٠، ١٦٢ .

(٢) انظر: نفسه، ص ٦٠٣ . و انظر: كل ما قرئ من ذلك بالخطاب و الغيبة :وجوه الإسناد والإعراب في القراءات، د.محمد أحمد خاطر، مطبعة الأمانة، القاهرة ١٩٩٠، ص ٢٩-٣٣ .

(٣) انظر: مذاهب التفسير الإسلامي، ص٩ .

(٤) تعليق د. عبد الحليم النجار، مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٩ بالهامش

(٥) د. عبد الحليم النجار، مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٩ بالهامش.

وتثبتوا من سندها قراءات معروفة محدودة، وكلّها ترجع إلى الرواية والنقل، لا إلى الكتابة والرسم[1]".

٧ ـ إن معاقبة ابن شنبوذ وابن مقسم المشار إليها من قبل معاقبة ثابتة في التاريخ لمجاهرتهما بجواز القراءة بالشاذ من القراءات وجعلهما القراءة تابعة للخط، ويبدو أن "جولد تسيهر" ومن سار في فلكه من المستشرقين قد اتخذوا من شذوذ هذين العربيّين مدخلا مناسبا فتحوا من خلاله حملتهم بالطعن في القرآن والقراءات مع علمهم بأن كلا من الرجلين قد عقدت له محاكمة وأدّب واستتيب، ولذلك مجال آخر من الحديث في الفصل الموالي بإذن الله.

نخلص في نهاية هذا الرد إلى نتيجة وهي أن أصحاب هذه الدعوى الذين ينظرون إلى قضية اختلاف القراءات القرآنية وتعددها في ضوء طبيعة الرسم العثماني لم يستطيعوا فقه لغة القرآن ولم يستوعبوا حقائق الإسلام[2]، ومما يدل على جهل "جولد تسيهر" وبعض المستشرقين الآخرين لمعاني العربية أنه فسر كلمة "التعزيز" بالتفخيم والتعظيم ـ كما هو معناها في العبرية ـ وفسّر كلمة "التعزير" بالتقوية، والحقيقة أن معناهما على خلاف ذلك في العربية؛ فالتعزير ـ بالراء المهملة ـ معناه التفخيم والتعظيم، والتعزيز ـ بالزاي المعجمة ـ هو التقوية المتضمنة لمعنى النصر، قال تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤] أي قوّينا به الاثنين المرسلين إلى أهل القرية[3]. ومثل هذا الفهم الخاطئ هو الذي جعل بعض الدارسين العرب المسلمين ينكر على مثل هؤلاء المستشرقين "الخوض في الأبحاث الدينية الإسلامية لأنها غير مبنية على التصورات العقلية والتخيّلات الفكرية، بل إنها مبنية على قول الله تبارك وتعالى وعلى سنّة نبينا العربي الكريم محمد ﷺ، وهم لا يؤمنون بكتاب الله، ولا يقرون

---

(١) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص٢٣ .

(٢) انظر: الجمع الصوتي، ص ١٧١ .

(٣) انظر: مذاهب التفسير الإسلامي، ص ١١ بالهامش.

برسالة نبيّنا؛ ولايعرفون من اللغة العربية ودقائقها مايعرفه أهلها، فمن الإنصاف والعدل أن يرجعوا إلى كبار علمائنا الأعلام فيما يشكل عليهم من الأمور إذا ما أرادوا الوصول إلى الحقيقة[١]."

وبعد، فقد ثبت أن القراءة هي الأصل، وأنها سابقة على الرسم، وأنه تابع لها وليس العكس. هذه هي الحقيقة التي أراد المستشرقون قلبها والقول بالنقيض. وكانت تلك الحقيقة قد ترسّخت لدى المسلمين منذ الرعيل الأول منهم الذين حفظوا القرآن في صدورهم بمختلف قراءاته المأثورة الصحيحة، وتناقل عنهم الخلف ذلك جيلا بعد جيل، فألفيت من يؤلف كتابا أو كتبا في "تأثير القراءات في الرسم القرآني[٢]" و"تأثيرها في الأحكام الشرعية[٣]" لاتأثير الرسم أو الأحكام في القراءات.

ولعله يحق لنا الآن ـ بعد هذه الجولة حول الرسم وعلاقته بالقراءات ـ الانتقال إلى حلقة أخرى من حلقات هذا البحث ذات أهمية فيه وهي قضية مستويات القراءات أو ما صح منها وما لم يصح والعلل التي اختلفت لأجلها مستويات تلك القراءات.

---

(١) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ١٢٢ .

(٢) من ذلك كتاب : القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية الدكتور : محمد الحبش.

(٣) من ذلك كتاب :أثر القراءات في الفقه الإسلامي، الدكتور :صبري عبد الرؤوف محمد عبد القوي مطبعة أضواء السلف، الرياض، طبعة أولى ١٩٩٧ .